سمير يذهب الى لندن

(٢)

أخي علي :

وَصَلْنَا نَابُولِي السَّاعَةَ السَّابِعَةَ صَبَاحاً . وقد رَسَتِ الباخِرَةُ عَلَى رَصِيفِ الميناء تماماً . فَنَزَلْنَا عَلَى السُّلَّمِ الكَبِيرِ إِلَى البَرِّ ، واسْتَبْدَلْنَا بِبَعْضِ نُقُودِنا نُقُوداً إِيطَالِيَّةً ، يُسَمُّونَهَا لِيرَاتٍ – والجُنَيهُ الإِنجليزِيُّ يُساوِي الآنَ ٥٨ لِيرَةً .

رَكِبْنَا سَيَّارَةً طَافَتْ بِنا أَنْحَاءَ المَدِينَةِ الكَبِيرَةِ ، وكُنْتُ أَسْمَعُ القَوْمَ يَتَكَلَّمُونَ اللُّغَةَ الإِيطَالِيَّةَ ، فلا أَفْهَمُ مِنها شَيْئاً . وكُنَّا نَرَى بُرْكَانَ فِيزُوف

نابولي

تلك المدينةَ التَّعِسَةَ ، فَشَاهَدْنَا ما تَخَلَّفَ مِنْ آثارِ مَنازِلِها وقُصورِها وطُرُقاتِها وأسواقِها ومسارِحِها وملاعِبِها . ثُمَّ دَخَلْنا المَتْحَفَ القائِمَ عندَ مَدْخَلِها . وكانَ مَنْظَراً مُؤَثِّراً جِدًّا حِينَ وَقَعَ نظرُنا أَوَّلَ الأَمْرِ عَلَى تلك الجُثَثِ التي تَحَجَّرَتْ بِفِعْلِ البُرْكانِ الهائِلِ الذي رَدَمَ المدينةَ وسُكَّانَها جميعاً تحت مَقْذُوفاتِهِ ، مُنْذُ نَحْوِ ١٨٥٠ سنةً . وكانَتْ هذه الجُثَثُ معروضةً في صناديقَ من الزُّجاجِ ، كما كانَتْ تُعْرَضُ المُومِيَاتُ في دارِ الآثارِ

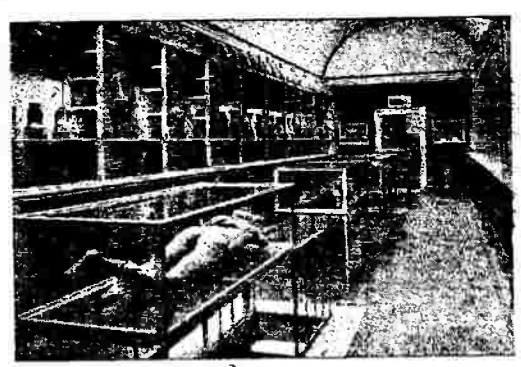

جانب من متحف بومباى

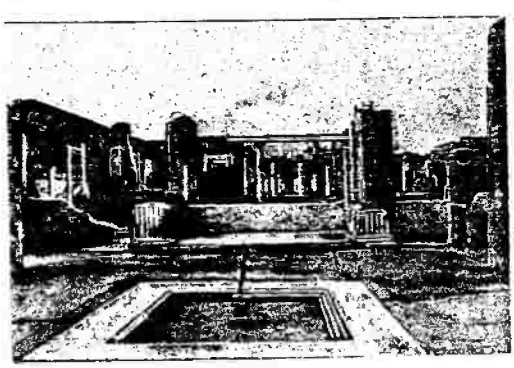

بقايا قصر من قصور الاغنياء

المشهورَ ، الذي كثيراً ما قَرَأْنا عنه في الجغرافيا ، والدُّخانُ يَتَصاعَدُ بِلا انْقِطاعٍ مِنْ فُوَّهَتِهِ . ثُمَّ اتَّجَهْنا صَوْبَ مَدِينَةِ بمبياى القَدِيمَةِ ، فَوَصَلْنا إليها بَعْدَ ساعةٍ . ودَخَلْنا

عندَنا ، وقَدْ تَمَثَّلَتْ فيها علائِمُ الأَلَمِ والتَّوَجُّعِ مما أَصابَهُمْ عند ما داهَمَتْهُمْ مقذوفاتُ البُرْكانِ الرَّهِيبِ . ومِنْ معروضاتِ ذلك المَتْحَفِ أيضاً كَثِيرٌ مِنَ الأَوانِي

الزجاجيةِ والخزفيةِ والنحاسيةِ والأدواتِ المنزليةِ ، مما كانَ يستعملهُ القومُ فى ذلك العهدِ .

استغرقتْ هذه الزيارةُ ثلاثَ ساعاتٍ ، ثمَّ عُدنا بعدها إلى الباخرةِ ، وأبحرْنا الساعةَ الخامسةَ .

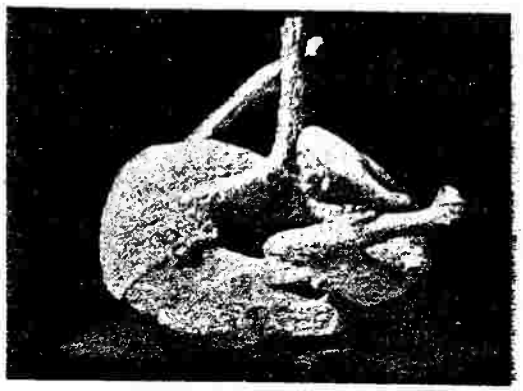

كلب منحجر ظهرت عليه علامات الألم والتوجع

اليومُ الخامسُ :

مررْنا اليومَ بعدةِ جزرٍ وكانت أقربها الينا جزيرةُ جيرا جليا . الجوُّ بديعٌ حقاً وقد قضيْتُ النهارَ كلَّهُ فى اللعبِ على السطحِ .

مُسلياً جداً أنْ نرى الباعةَ منْ رجالٍ ونساءٍ يُنادُونَ على بضائعِهمْ المختلفةِ منْ فاكهةٍ وخضرٍ وأزهارٍ وغيرِ ذلكَ كما يفعلُ الباعةُ المتجولونَ فى مصرَ . وطولونُ ، كما تعلمُ ، هى القاعدةُ البحريةُ للأسطولِ الفرنسىِّ . ولذلك فقدْ كانتِ الميناءُ ملأى بالبواخرِ الحربيةِ والغواصاتِ .

اليومُ السابعُ :

أخرْنا الساعاتِ ستينَ دقيقةً الليلةَ الماضيةَ ،

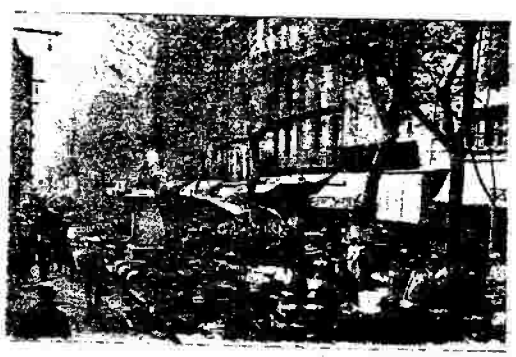

سوق طولون

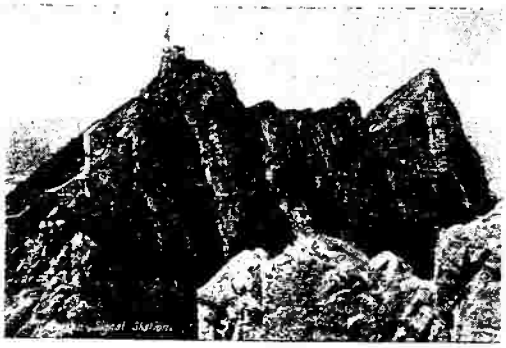

صخرة جبل طارق

فأصبحْنا متأخرينَ عنكم ساعتينِ . الجوُّ جميلٌ جداً هذا الصباحَ بعدَ أنْ كانَ ممطراً عاصفاً فى أثناءِ الليلِ . وصلْنا ميناءَ بالما (فى جزيرةِ ماجورْكا الأسبانيةِ) حوالى الساعةِ العاشرةِ صباحاً ، ولكنْ ، لسوءِ الحظِّ ، لمْ يُسمحْ لغيرِ الركابِ القاصدينَ إليها بالنزولِ إلى البرِّ .

اليومُ السادسُ :

وصلْنا ميناءَ طولونَ الفرنسىَّ الساعةَ السابعةَ صباحاً ، واستبدلْنا ببعضِ نقودِنا نقوداً فرنسيةً (فرنكات) . وركبْنا زورقاً بخارياً ، أقلَّنا إلى الشاطئِ . ثمَّ سرْنا فى شوارعِ البلدةِ ، واخترقْنا سوقها الكبيرَ ، وكانَ منظراً

وقد صَعِدَ إلى الباخرةِ نَحْوُ ثلاثينَ راكباً جديداً ، وَلَمْ يَنْزِلْ من الرُّكَّابِ الْأَصْلِيِّينَ غَيْرُ القليلِ .

اليومُ الثامنُ :

وَصَلْنَا مِيناءَ جَبَلِ طَارِقٍ السَّاعةَ الثانيةَ بعدَ الظُّهْرِ ، فَرَأَيْنَا فى مَدْخَلِ الميناءِ ، عَلَى البَرِّ الأوربِّيِّ ، صَخْرَةً هائلةَ الْحَجْمِ ، تُشْرِفُ عَلَى الْبَحْرِ كما يُشْرِفُ الْهَرَمُ الأكبرُ عَلَى الصحراءِ ، ولهذا اتَّخَذَ الإنجليزُ منها قَلْعَةً حربيَّةً حَصِينَةً للدِّفاعِ عَنْ مَدْخَلِ البحرِ الأبيضِ المتوسِّطِ . وقد ذَهَبْنَا إلى البَرِّ فى قَارِبٍ بخاريٍّ ، وسِرْنا نُشَاهِدُ المحالَّ التِّجَارِيَّةَ ، وَنَشْتَرِى بعضَ التُّحَفِ . وقد لَفَتَ نَظَرِى أَنَّ أَكْثَرَ ما اشْتَرَاهُ رُكَّابُ الباخرةِ كانَ مِنَ التِّبغِ والسجائرِ ، وقدِ اشْتَرَى والدى عُلَباً كثيرةً منها ، وَأَخْبَرَنِى أَنَّهَا تُبَاعُ هنا بثمنٍ بَخْسٍ ، إذا قُورِنَ بِثَمَنِهَا فى مِصرَ أو فى إنجلترا ، وذلك لِانْعِدَامِ الضريبةِ الْجُمْرُكِيَّةِ عليها . ولَمْ يَتَّسِعِ الوقتُ لِلذَّهَابِ إلى البَرِّ الإفريقِيِّ ، مع أَنَّنَا كُنَّا نَرَاهُ منَ الباخرةِ لا يَبْعُدُ عنا كثيراً .

أُقِيمَتْ فى هذا المَسَاءِ فى الباخرةِ حفلةٌ خياليَّةٌ (سينمائيةٌ) عُرِضَتْ فيها أَشْرِطَةٌ (أفلام) مُضْحِكَةٌ ، وأَشْرِطَةٌ أُخْرَى للبلادِ التى تَمُرُّ بها الباخرةُ فى رِحْلَتِهَا من أُسْتُرَالْيَا إلى إنجلترا .

اليوم التاسع :

نَسِيرُ اليومَ بِحِذَاءِ الساحلِ البرتُغَالِيِّ مُتَّجِهِينَ نَحْوَ الشَّمَالِ .

اليوم الحادى عشر :

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَكْتُبَ إليك أمسِ إذْ لَازَمْتُ فِرَاشِى طولَ اليومِ ، فَلَمْ أَتَحَرَّكْ ، ولَمْ أَتَنَاوَلْ طَعَاماً بَدَأْتُ أَشْعُرُ فى أَثْنَاءِ الليلِ بِدُوارٍ فى رَأْسِى وأَلَمٍ فى بَطْنِى ، واضْطَرَبَ سَيْرُ البـاخرةِ ، فَأَصْبَحَتْ تَتَمَايَلُ كثيرا ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ لا أَشْعُرُ بِمَسِيرِهَا . وقد قال لى وَالِدِى : « لَا تَخَفْ ، وَتَشَجَّعْ ، فنحنُ الآنَ نَجْتَازُ خَلِيجَ بِسْكَاى » . هل تَتَذَكَّرُ ، ياعلىُّ ، هذا الخليجَ الخبيثَ المشهورَ باضطرابِ أمواجِهِ وقُوَّةِ تَيَّارَاتِهِ ؟ لَمْ أَكُنْ أَفْهَمُ مطلقا معنى مايُسَمُّونَهُ « دُوَارَ البحرِ » ولـكنَّهُ ، والعِيَاذُ باللهِ ، كادَ يُنْسِينِى جمالَ الرِّحْلَةِ . اليومَ اجْتَزْنَا الخليجَ تماماً ، والحمدُ للهِ ، واعْتَدَلَ ، لِحُسْنِ حَظِّى ، سَيْرُ البـاخرةِ ، فَاسْتَطَعْتُ أَنْ أُغَادِرَ حُجْرَتِى ، وأَنْ أَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ ، وأَنْ أَكْتُبَ إليك .

أُعْلِنُ الآنَ أَنَّنَا سَنَصِلُ إلى ميناءِ بْلِيمُوث على السَّاحلِ الجنوبِىِّ لإنجلترا غَدًا صباحاً ، فَيَنْزِلُ مَنْ يَشَاءُ من الرُّكَّابِ ، ثُمَّ نَسْتَأْنِفُ السَّيْرَ إلى لَنْدَن ، فَنَصِلُ إليها بعدَ غدٍ . ونَكُونُ قد قَطَعْنَا بالباخرةِ شَوْطاً قَدْرُهُ ٣٥٦٧ ميلا .

وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ لَنْدَن فى خِطَابِى الْمُقْبِلِ ؟

أخوك

سمير